

سيد محمد خان  
١٨١٧ - ١٨٩٨ م

## والمصير السياسي لمسلمي الهند

د. خليل عبد الحميد عبدالعال

### الاجتمع الاسلامي في الهند في أعقاب ثورة عام ١٨٥٧م

لم تكن العلاقات بين الحكومة البريطانية ومسلمي شبه القارة الهندية على مايرام طوال القرن التاسع عشر. فالبريطانيون كانوا دائماً ينظرون إلى مسلمي الهند كمناфسين لهم في البلاد. ولذلك فقد كانت سياسة بريطانيا نحو المسلمين تقوم على أساس الكبت والضغط بينما كانت سياستها نحو الهندوس تقوم على أساس تنمية العلاقات الطيبة معهم<sup>(١)</sup>. وبعد اشتعال ثورة عام ١٨٥٧م ازدادت نظرة الكراهية البريطانية نحو المسلمين وازداد سوء الفهم ومن ثم سوء العلاقات بين الطرفين. ورغم أن الثورة قد قامت على أكتاف كل من المسلمين

والهندوس معا وأن كلا من الطرفين يتحمل مسئوليتها بشكل مساو، إلا أن الغرم كان من نصيب المسلمين بينما كان الغنم من نصيب الهندوس. فقد عومل المسلمون من قبل السلطات البريطانية أسوأ معاملة. فقد خربت وسلبت منازل المسلمين ونفي زعمائهم وأعدم وسجن كثير من رؤسائهم، وفرضت على المسلمين عامة غرامات مالية كبيرة<sup>(٢)</sup>. أما الهندوس الذين كانوا مسئولين أيضا - مثل مسئولية المسلمين - عن الثورة، فقد أغدقت عليهم السلطات البريطانية الكثير مما رفع من روحهم المعنوية بشكل كبير<sup>(٣)</sup>. وهكذا أصبحت الحياة بالنسبة لمسلمي الهند وزعمائهم عبئا ثقيلا لا يحتمل مما جعل رجالا كثيرين - مثل سيد أحمد خان - يفكرون في مغادرة البلاد<sup>(٤)</sup>.

أما دلهي التي كانت مركزا للحضارة والثقافة الاسلامية فقد أصابها التدمير والنهب ولم تعد مدينة اسلامية. لقد انتكست حركة النهضة والاحياء التي كانت تمور بها المدينة<sup>(٥)</sup>. وبدأ الانعطاط والحمول بغشى وسيطر على كل مناحي الحياة. وأخذ المسلمون يكرهون كل ما يتصل بالغرب<sup>(٦)</sup>. لقد فقدوا الأمان في حياتهم وتوقعوا في داخل أنفسهم وأدت بهم حياتهم الاجتماعية غير المستقرة إلى أن يركنوا إلى حياة التدين. بل وصيغوا كل شيء بصيغة العقيدة. وأصبح كل ما هو ضد معتقداتهم وتقاليدهم أمرا بعيدا عن القداسة ومدنسا<sup>(٧)</sup>.

وهكذا، ونتيجة لخيبة آماهم في مجرى الأحداث، تجنب مسلمو الهند التعليم الغربي وبالتالي حرموا أنفسهم من فرص التوظيف والعمل الحكومي. أما الهندوس فقد سلحوا أنفسهم بالمؤهلات الجديدة والعلم الغربي وبمرور الوقت تمكنوا من شغل كل الوظائف والخدمات الحكومية<sup>(٨)</sup>.

لقد كان المسلمون متخلفين عن الهندوس في تعلم اللغة الانجليزية. هذا أمر لاشك فيه. ولكن أحيانا لم يكن يسمح للمسلمين بالعمل وشغل الوظائف لأنهم مسلمون<sup>(٩)</sup>. ويمكن للدارس أن يتعرف على أحوال مسلمي البنغال وبيهار وأوريسا - بسهولة - من الفقرات التالية. من الخامس تقدم به مسلمو أوريسا إلى السلطات :

«إننا كرعابا مخلصين وموالين لجلالة ملكة بريطانيا، نعتقد في أن لنا حقا متساويا - مع الآخرين - في تعيينات الادارة في البلاد. ومن الحق أن نقرر هنا أن مسلمي أوريسا قد انحط وضعهم بشكل كبير أدى الى فقدان الأمل في الارتفاع من جديد. لقد وجدنا أنفسنا.. كسمكة خارج الماء. هذه هي الحالة المؤسفة والبالسة للمسلمين نضعها تحت أنظاركم ونحن نؤمن أنكم المسئولون الوحيدون لجلالة الملكة في منطقة أوريسا، ونأمل أن تأخذ العدالة مجراها بين كل الطبقات دون تمييز في اللون أو الاعتقاد. إننا لشدة سوء أحوالنا المالية ووصولنا الى حالة الضنك والافلاس نتحدث من كل أعماق قلوبنا ونقول إننا على استعداد للسفر الى أبعد مناطق الأرض، والصعود الى قمم الجبال والذهاب الى مناطق سيبيها اذا ما اقتنعنا أن ذلك هو السبيل الى وظيفة حكومية ندر علينا عشرة شلنات في الأسبوع»<sup>(١٠)</sup>.

لقد كانت مدينة (كلكتا) مركزا لحركة النهضة والاحياء الهندوسية، وظلت المدينة آمنة من كل المكاراة إبان الأيام الخالكة للثورة<sup>(١١)</sup>. لقد ظلت الروح المعنوية للهندوس عالية، ونجحوا في تحسين أحوالهم المادية، وصار أبناءهم محامين وأطباء وصحفيين بلي وصارت الصناعة المحلية تحت إشرافهم. هذه الأحوال الاجتماعية الآمنة والتعليم الذي حصلوه نفت كل ذلك فيهم الوعي وشرعوا يجاهدون من أجل الحصول على حقوقهم. وقد أدى ذلك الى توسيع الشقة بين أمتي الهند<sup>(١٢)</sup> (أعني

الهندوس والمسلمين). إن الصراع من أجل البقاء والوجود في النصف الأخير من القرن التاسع عشر كان صراعاً بين طبقتين، طبقة مثقفة وآمنة مالياً وطبقة غير مثقفة ومطحونة اقتصادياً، ولكنها فخورة بأعجادها الماضية. هذا الصراع أصبح أشد احتداماً وعنفاً بسبب الاختلافات الدينية. ويعلق (فالتين شيرول) على ذلك بقوله:

إن العداء بين الهندوس والمسلمين لم يكن من خلق أو بسبب الحكم البريطاني. إنه محصلة قرون من الصراع والتوتر وذلك قبل أن يسمع عن البريطانيين في الهند (١٣)».

كان الهندوس يعلمون ذلك. وعندما كانوا يجدون الفرصة - مثلهم في ذلك مثل الحكومة البريطانية - فإنهم كانوا لا يترددون في الضغط على المسلمين وكبح جماحهم (١٤).

### أولاً : سيد أحمد خان وحركة عليجرة

كان سيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨) من أبرز وأهم الزعماء المسلمين في شبه القارة الهندية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد ظلت زعامته لمسلمي شبه القارة طوال فترة حياته النشطة.. أكثر من خمسين عاماً. وقد أمضى سيد أحمد خان الأربعين عاماً الأولى من حياته في جهد لا ينقطع من أجل العمل على نشر أفكاره التعليمية والأدبية. وفي خلال هذه الأعوام عاصر سيد أحمد خان وعاش أحداثاً جساماً وقعت بالهند وكان لها تأثيرها العميق على تشكيل مجرى حياته.

لقد كانت (ثورة ١٨٥٧م) نقطة تحول مهمة في حياته. في ذلك الوقت - وقت الثورة - كان سيد أحمد خان يعمل في مدينة (بنغور). وهناك شاهد بنفسه

مآسي الثورة. وقد قام سيد خان - في خلال تلك الأيام الحالكة -  
بانقاذ أرواح كثير من العائلات البريطانية التي كانت تعيش  
بالمدينة<sup>(١٥)</sup>. والذي حدا به الى القيام بهذا الدور هو ايمانه العميق  
بضرورة استمرار الحكم البريطاني للهند. وكان هذا اعتقادا أساسيا من  
جانبه له أسبابه ومبرراته التي لم يحاول اخفاءها أو التعتيل منها.

ولجوده الكبيرة وخدماته في خلال الثورة قدمت له السلطات البريطانية  
أرضا كان يمكن أن تدبر عليه دخلا كبيرا. لكنه رفض قبول الأرض<sup>(١٦)</sup>.  
وفي عام ١٨٥٩م كتب سيد خان كتيبه المشهور (أسباب بغاوت هند)  
أي (أسباب ثورة الهند)<sup>(١٧)</sup>. وفي هذه الرسالة قام سيد أحمد خان  
بتحليل الأسباب التي أدت الى الثورة. وكما يرى سيد خان فقد كانت  
أهم هذه الأسباب فقدان التعاون بين الحاكم والمحكوم. وقدم سيد خان  
التصحح الى السلطات البريطانية بضرورة تمثيل الهنود في المجالس  
التشريعية. وقد كان هذه الرسالة أثر إيجابي كبير على الحكومة  
البريطانية. إذ أنه بعد عامين من نشرها صدرت أول لائحة في هذا  
الصدد وتعرف باسم «لائحة المجلس الهندي لسنة ١٨٦١م». وتقرر  
اللائحة السماح للهنود - للمرة الأولى - بأن يمثلوا في مجلس الحاكم العام  
الشريعي.

لقد بدأت نشاطات سيد أحمد خان كمصلح اجتماعي وسياسي بعد  
عام ١٨٥٨م وأصبح سيد خان وشخصيته اهور الذي دار حوله تاريخ  
مسلمي الهند في الفترة من ١٨٥٨ الى ١٨٩٨م. وهذه الفترة من حياة  
سيد خان يمكن أن تقسم الى ثلاث مراحل مختلفة.

١ - المرحلة الأولى : تمتد من ١٨٦١ الى ١٨٨٣م. وفيها حاول سيد أحمد خان  
عامدا أن يكتسب ائتدوس كأصدقاء. وجاهد للدفاع عن تفاهم أفضل  
لوجهة نظر كل من ائتدوس والمسلمين.

٢ - والمرحلة الثانية : تمتد من ١٨٨٣ الى ١٨٨٧. وفي خلال تلك الفترة قام سيد خان بتوجيه النصيح الى مسلمي شبه القارة بألا يسهموا في أي تنظيم سياسي وخاصة في «المؤتمر الهندي الوطني» أو «الكونجرس».

٣ - أما المرحلة الثالثة : فتمتد من ١٨٨٧ الى ١٨٩٨م. وفيها عارض سيد خان بوضوح «المؤتمر الهندي الوطني» وقام بتكوين عدد من التنظيمات المناهضة للمؤتمر.

### المرحلة الأولى :

كان سيد أحمد خان رجلاً شديد التدين، وكانت تملؤه رغبة عارمة في خدمة أبناء ملته. لقد شاهد بنفسه أفول نجم الامبراطورية المغولية. ولقد كانت ثورة ١٨٥٧م هي آخر محاولات الهنود لاستعادة سلطانهم المفقود وكرامتهم وذلك عن طريق القوة. ولكن الثورة فشلت. وبهذا الفشل ضاعت كل الآمال في قيام امبراطورية اسلامية في الهند.

لقد تأثر سيد خان بشكل بالغ بالمعاملة السيئة والمستبدة التي عاملت بها السلطات البريطانية المسلمين بعد فشل الثورة. وهذا مادفعه الى كتابة سلسلة من المقالات بعنوان «المسلمون الهنود الموالون»<sup>(١٨)</sup>. وفي هذه المقالات حاول سيد خان أن يثبت بالدليل القاطع أن مسلمي الهند لم يكونوا هم وحدهم المسؤولين عن ثورة ١٨٥٧م<sup>(١٩)</sup>. إن هذه الثورة - كما يقول سيد خان - كانت عملاً اشتركت فيه كل الأمة الهندية. وأعلن سيد خان عن أسماء العائلات المسلمة التي قدمت يد المساعدة للبريطانيين، بل ووقفت في صفهم، وذلك في خلال الأيام الخالكة للثورة.

• واستمر سيد أحمد خان في كتابة هذه المقالات حتى ١٨٦٠ / ١٨٦١ م. وقد نتج عن هذه الكتابات راحة كبرى حلت في صدور كثير من العائلات المسلمة. ولكن سرعان ما كان على سيد خان أن يواجه موقفا حرجا وأكثر خطورة. فقد أخذ الهندوس - تدريجيا - يتحكمون في الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد. فقد أسست الجامعة في ممباي ومدراس وكلكتا في عام ١٨٥٧. وهذه المناطق كانت ذات أغلبية سكانية هندوسية. وخرجت هذه الجامعات دفعات وراء أخرى، وبمرور الوقت تمكن الهندوس من أن يحتكروا أغلب الوظائف الحكومية. ويصف (سير ثيودور موريسون) أحوال المسلمين العامة في الهند بقوله:

«بينما كان البنغاليون الهندوس والمدراسيون والمراثا يتمتعون بنهضة ثقافية ومعنوية - نتيجة احتكاكهم بفتون أوروبا وعلومها - فإن المسلمين في كل شبه القارة الهندية كانوا ينحدرون نحو الركود المادي والانحطاط الثقافي»<sup>(٢٠)</sup>.

• لقد كان المسلمون متخلفين عن الهندوس بشكل بالغ. فقد منعهم رجال دينهم من طرق سبل التعليم الغربي وكانت النتيجة هي إستبعاد المسلمين من كل الأعمال والوظائف المدنية<sup>(٢١)</sup>.

• تأمل سيد خان الموقف وتفهمه بعمق في مرحلة مبكرة. وبدأ على الفور حركته الكبرى التي أوحى إلى مسلمي الهند بعبادة جديدة. فقد آمن سيد خان بأن الوسيلة الوحيدة التي تمكن مسلمي شبه القارة من الحركة والحياة من جديد هي التعليم. ومن المفيد أن نذكر هنا أنه عندما بدأ سيد خان حركته هذه كان عدد الخريجين لا يزيد على ستة عشر شخصا في كل الهند<sup>(٢٢)</sup>.

في مثل تلك الظروف لم يمكن من الممكن لسيد أحمد خان أن يعلن عداوته للهندوس فقد كان سيد خان دائما حريصا على عدم إثارة غضبهم ونفوسهم ومشاعرهم رغم أنه كان حريصا أيضا على مقاومة موقفهم واتجاهاتهم نحو المسلمين وكان في ذلك مثل السياسي الذي يعرف لكل شيء وقته. ولم يدع سيد خان للهندوس وسيلة للتعرف على مشاعره الحققة تجاههم. وظل الأمر كذلك حتى تأسيس «المؤتمر الهندي الوطني» (٢٣).

### • حركة عليجرة •

قبل ذهاب سيد أحمد خان الى إنجلترا كان قد آل على نفسه أن يعمل من أجل خلق تفاهم وتقارب سياسي بين الحكام والمحكومين. وفي خلال تلك الفترة كان سيد خان يرى ضرورة قبول البريطانيين سياسيا. ذلك أنه بدون ذلك فإن مسلمي الهند سوف يقعون حتما تحت وطأة الغالبية الهندوسية المعادية. على أن آراء سيد خان في هذا الصدد تغيرت بعد عودته من إنجلترا (١٨٦٩ - ١٨٧٠) ففي أوروبا شاهد سيد خان نتائج وثمار الحضارة الأوربية وتأثر بذلك تأثرا بالغا. ومنذ ذلك الوقت بدأ سيد خان بعمل جاهدا لاقتناع أبناء ملته ليس فقط بقبول الحكم البريطاني، ولكن باستيعاب الحضارة الغربية (٢٤).

وفي عام ١٨٧٠ بدأ سيد خان ينشر «تهذيب الأخلاق» وهي مجلة بالأردية على غرار ونمط بعض المجلات الأوربية (٢٥). وبدأ سيد خان يهاجم - على صفحات المجلة - الدوائر والنزعات المخافطة التي رفضت أي تقدم أو إحداث أي تغيير كما هاجم نمط التعليم الديني الذي فرضته هذه الدوائر وشجعت. وكانت الحملة التي قادها سيد خان على



صفحات المجلة تهدف الى تخليص وتحرير الاسلام والمسلمين من قيود المجتمع القديم الذي انتهى. ويصدر تلك المجلة تبدأ حركة أصبحت شهيرة فيما بعد واقتُرنت باسم كلية عليجيرة التي أسسها سيد خان بعد ذلك بخمس سنوات. أما أهداف وغايات الحركة فقد كانت:

- ١ -حث الهنود على تعلم الفنون والعلوم الغربية.
- ٢ -تشجيع الناس على الفهم عن طريق العقل.
- ٣ - العمل من أجل الارتقاء الاجتماعي باهنود.
- ٤ - العمل على انتشال الهنود من حالة اليأس والفتنوط وإيضاح معالم الأمل والسعادة أمامهم.
- ٥ -تشجيع ههنود على اتخاذ موقف نشط وإيجابي في الصراع من أجل الحياة.
- ٦ - توجيه انتباه الناس نحو المشاكل الخطيرة والعملية.
- ٧ - الرغبة في الإصلاحات الاجتماعية(٦٦).

● كذلك كانت مدرسة عليجيرة، التي أصبحت فيما بعد كلية، تتصل بقرب بهذه الحركة. فقد كانت الكلية هي المركز الثقافي والفكري للحركة. وكانت أغراض الكلية تتحصر في تخريج أربعة أئباط من الخريجين.

- ١ - غطت يقوم بمهمة ترجمة العلوم والفنون الأوربية الى الأردية بعد دراستها.
- ٢ - غطت يقوم باستيعاب التعليم الانجليزي للعمل بعد ذلك في الوظائف الحكومية.
- ٣ - غطت يقوم بالدراسة بالأردية على أن يتمكنوا بذلك من الحصول على معرفة تامة مساوية للمستوى البيطاني حتى يتمكنوا بعد ذلك من تطوير معرفتهم وحضارتهم.

٤ - نخط يقوم بالدراسة بالفارسية والعربية. وهؤلاء سوف يقومون على ترجمة تراث الماضي للأجيال الجديدة. وبهذا الشكل سوف يظل التراث الديني والثقافي حيا وياقيا(٢٧).

كان هذا المعهد العلمي (كلية عليجرة) معهدا اسلاميا بحثا. ولكنه كان مفتوحا للجميع دون تمييز عقائدي أو جنسي.

لقد كان سيد خان من أنشط العاملين في هذه الحركة. ولكن ساعده في هذا العمل الكبير فريق من الزملاء المخلصين والتحيين للعمل من أبرزهم مولفي سميع الله خان ونواب محسن الملك ونواب فقار الملك وسيد زين العابدين ومولفي شيراز علي وألطف حسين حالي ومولانا شلي نعماني ومولفي زكاء الله ومولفي نظير أحمد(٢٨).

على أن سيد أحمد خان لم يستمر في هذا العمل الكبير دون معارضة. فان معارضيه «أخرجوه من حوزة الاسلام وقاموا بالتشهير به والادعاء عليه. بل أنهم هددوه بالقتل أكثر من مرة(٢٩). على أن سيد أحمد خان الذي كان يؤمن بعمله وكان قويا بهذا الايمان استمر يؤدي مهمته ولم يقف في طريقه عائق.

لقد أسهمت حركة عليجرة في خدمة مسلمي شبه القارة الهندية باخلاص وذلك في اهان حالك أيامهم. وفي النهاية قادت مسلمي شبه القارة نحو الخلاص والانتصار.

وفي خلال تلك الفترة قام سيد خان بالقاء الخطب لكسب ود الهندوس وتعاونهم. وكان يفخر بتسميته الهندوسي أو الهندوستاني(٣٠). وقد أعلن سيد خان في مناسبات عديدة «أن الهند مثل العروس عيناها هما

الهندوس والمسلمون، وجماعها يتمثل في أن كل من عنيها له نفس البق.» ونصح سيد خان بعدم المساس بمشاعر الهندوس وذلك بعدم ذبح البقر. «إذا ما أريد للصدقة بيننا وبينهم أن تستمر فإن هذه الصدقة يجب أن تفضل على التضحية بالبقر»<sup>(٣١)</sup>.

وقد ترأس سيدخان عددا من الاجتماعات التي نظمها الهندوس وقام بدعوة البارزين من الهندوس الى كلية عليجرة. كذلك تلقى من الهندوس الاسهامات المالية<sup>(٣٢)</sup>. ولكن كل ذلك كان بلا جدوى. فقد كان الهندوس على قدر كبير من التحيز ضد المسلمين. وفشلت في النهاية كل الجهود الفاضلة التي بذها سيد خان للتوحيد بين المسلمين والهندوس. وتوترت العلاقات بينهما وساءت. على أن سيد خان كان يعلم بما سوف تنتهي اليه الأمور من قبل. كان يعلم بذلك منذ الصراع والتراع الذي دار حول الأردية والهندية والذي بدأ في عام ١٨٦٧. وفي الواقع فإن النزعة الانفصالية الاسلامية كانت قد بدأت منذ الاضطرابات وحركات التبرع التي قام بها الهندوس ضد اللغة الأردية في (بنيراس)<sup>(٣٣)</sup>.

لم يكن سيد أحمد خان ضد تكوين حزب سياسي. كذلك لم يكن ضد السياسة في حد ذاتها. إلا أنه كان يعتبر المسلمين غير جديرين بالقيام بأي نشاط سياسي طالما أنهم متخلفون تعليميا. كذلك لم يكن سيد خان راغبا في أن يتحول انتباه المسلمين عن التعليم الى أي مجال آخر. فالتعليم وحده - كما يرى - سوف يحفظ عليهم مستقبلهم ولقد كانت كل من كلية عليجرة ومدرسة عليجرة النتائج العملية لجهوده في مجال التعليم. فكل من المعهدين الدراسيين كان مفتوحا لكل فرد دون تمييز في الطبقة أو اللون أو العقيدة.

ولقد تبنى سيد أحمد خان في مجال السياسة منهج الولاء للإنجليز. وهذا

- في اعتقاده - كان أفضل سياسة للمسلمين. وتلقى خطبته في المجتمع العلمي التي ألقاها في (١٠ مايو عام ١٨٦٦) الضوء على آرائه السياسية. فان سيد خان كان يرى أن المسائل والأمور الهندية يجب أن تعرض بشكل أساسي أمام مجلس نيابي، وهذا يجب أن تؤسس منظمة ما. وقد قال سيد خان:

«من المؤسف حقاً أن ينظر أهل الهند بشكل لا مبالاة فيه ولا معرفة الى البرلمان البريطاني. هل تستطيعون الاهتمام بأمركم إذا لم تعرض هذه الأمور أمام هذا المجلس؟».

«ان القطاعات الأوربية في الهند آخذة في الازدياد. وقد أسست لها منظمات في لندن وفروعاً هذه المنظمات في الهند، وذلك لكي ترفع المسائل الهندية ومطالب واحتياجات جميع الطبقات أمام البرلمان البريطاني. وان لم تقم كل طوائف الأمة بالتعاون ووضع الخطط على أسس دائمة فإن الفرصة قد تفلت وبالتالي فإن المواطنين الهنود سوف يحرمون من التمثيل ولن تلوموا إلا أنفسكم وذلك بعد أن تشاهدوا بعد سنوات أن القطاع الأوربي يتمتع بامتيازاته التي حصل عليها بينما مطالبكم لم تتحقق.»

«إنني أخشى أن تنظر اليكم الحكومة أو السلطات الاقليمية كمجموعات عابثة متمردة وغير راضية. هل قيامكم بمثل هذه الاجراءات بمنعكم من خدمة بلدكم؟ هل الأفكار الأوربية عابثة ومتمردة؟ صدقوني إن هذا الجبن المعنوي خطأ وأن هذا الخوف لا أساس له...».

«إنكم إذا ما أظهرتم أنفسكم بمظهر المتحمس الشغوف المجلج لذاته والرائع فيها فإنكم سوف تكسبون احترام شعب مستقل مثل الشعب الانجليزي. ولكن اذا ظللتم كما أنتم الآن غير مباليين ومعتمدين

على غيركم فلن تتألوا احترام أحد. إن تطبيقات القانون على أيدي حكومة - مهما كانت عاقلة - وحتى لو كان الدافع إليها سليما ووطنيا، فإنها أحيانا لا تتفق واحتياجات الناس ومطالبهم أو أنها تتعارض مع العدالة الحقيقية.

«إن الأهالي ليس لديهم الآن دور أو صوت في إدارة أمور بلادهم وإذا ما ثبت أن أي إجراء تتخذه الحكومة ضار بهم أو يخالف لمصلحتهم فإنهم يبدون في الظاهر رضى وسعادة بينما السخط وعدم الرضى يثور في عقولهم. أرجو ألا تغضبكم كلماتي التي أتحدث الصديق بها. أنا أعلم أن من عاداتكم السخط والاستياء من قوانين الحكومة المختلفة وذلك في بيوتكم وبين عائلاتكم وأنكم عندما تزورون بعض الأوربيين تظهرون رضاءكم بعدالة وحكمة هذه القوانين. إن هذا المسلك هو بالتأكيد ضد مصلحة بلدكم. انه لمن الأفضل أن يكون للهند شعب يتحدث بصراحة وشرف عن عدالة أو ظلم قوانين الحكومة...» (٣٤).

## المرحلة الثانية :

جاء لورد (ليتون) في عام ١٨٧٧م الى عليجرة لوضع حجر الأساس لكلية عليجرة (٣٥). وقد تأثر كثيرا بشخصية سيد أحمد خان، ولذلك عينه في عام ١٨٧٨م عضوا بالمجلس التشريعي الامبراطوري (٣٦). وأعيد تعيين سيد خان في عام ١٨٨٠م في عهد لورد (ريون) نائب الملك في الهند آنذاك (٣٧). وفي مجلس نائب الملك وجد سيد خان الفرصة في الدفاع عن مصالح مسلمي شبه القارة الذين كانوا يمثلون أقلية باهند.

ولقد رغب لورد (ريون) في ادخال المؤسسات النيابية باهند وقدم اقتراحا بقانون في المجلس التشريعي لنائب الملك وذلك بهدف ادخال نظام الحكومة الذاتية بالبلاد. وكان ذلك في الثاني عشر من يناير عام

١٨٨٣ م. وفي خلال مناقشة هذا الاقتراح عارض سيد أحمد خان إدخال مبدأ الانتخاب باهند وألقى خطبة قوية يعرض بها وجهة نظره. قال سيد أحمد خان :

«إن الحكومة النيابية هي أعظم وأنبى درس يمكن للهند أن تتعلمه من إنجلترا...» ولكن سيد خان أصر على أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه أو العمل به في الهند كما هو معمول به تماماً في إنجلترا. وذكر أحمد خان أن الهيئات المحلية لا يمكن أن تكون كلها قائمة على مبدأ الانتخاب وأن بعض المقاعد في هذه الهيئات لابد وأن تملأها الحكومة بالتعيين.

«إن كل سكان إنجلترا - لأسباب إجتماعية وسياسية - يكونون طائفة واحدة. ومن الواضح أن هذا لا يمكن أن يقال عن الهند. إن نظام التمثيل عن طريق الانتخاب يعني تمثيل آراء ومصالح الأغلبية السكانية، وفي بلاد يتكون السكان فيها من جنس واحد وعقيدة واحدة. إنه - بلا شك - أفضل نظام يمكن أن يتبع. ولكن في بلد، مثل الهند، حيث لا تزال التقسيمات الطبقية متعشة وحيث لا تتداخل بين الطوائف المتعددة، وحيث الفروقات الدينية لا تزال عنيفة. وحيث التعليم في معناه الحديث لم يزحف بعد بنسب متساوية بين كل الطوائف وقطاعات السكان، فإن نظام الانتخاب بشكله البسيط لا يمكن أن يتبع بأمان. إن الطائفة الأكبر ستضغى على مصالح الطائفة الأصغر...» (٢٨).

كانت تلك هي أول خطبة يلقيها سيد خان ويعبر فيها عن أفكاره ووجهة نظره تجاه نظام الحكومة والانتخاب في الهند. وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الخطبة تكون «المؤتمر الهندي الوطني» في عام ١٨٨٥. واضطر سيد خان - نتيجة لتلك الظروف - أن يعبر عن أفكاره حيال أوضاع الأقليات في الهند في ظل نظام حكومي نيابي. ولكن قبل أن نتعرض بالسرد والمناقشة لمعارضة سيد خان للمؤتمر الهندي الوطني،

يجب أن نتعرف على الطريقة التي تم بها تكوين المؤتمر الهندي الوطني ومن ثم العوامل التي حدثت بسيد أحمد خان إلى معارضة هذا المؤتمر.

### تأسيس المؤتمر الهندي الوطني «الكونغرس» عام ١٨٨٥م

وجد تيار من التبرع والسخط وعدم الرضى بين الطبقات المثقفة في الهند في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. وأسباب هذا التيار يمكن حصرها في :-

- ١ - قانون السلاح لعام ١٨٧٨م .
- ٢ - قانون الصحافة الوطنية لعام ١٨٧٨م.
- ٣ - القلاقل والاضطرابات المتصلة بالخدمة المدنية والتي قادها (س. بانرجي).
- ٤ - قانون أو لائحة اليرت في سنة ١٨٨٣ (٣٩).
- ونتيجة لتيار التبرع والسخط هذا ظهرت في أنحاء شتى من البلاد أحزاب محلية سياسية من أهمها:
- ١ - منظمة كلكتا الهندية وأسسها (س. بانرجي).
- ٢ - المنظمة الحمديدية المركزية بكلكتا وأسسها سيد أمير علي في ١٨٨٧.
- ٣ - أنجلمان إسلام في بومباي.
- ٤ - المجلس الهندي الوطني في عام ١٨٨٣م.
- ٥ - عصبة بنغال الوطنية في ١٨٨٤م.
- ٦ - سورو جانج صانجا في بونا في ١٨٧٥م.
- ٧ - ماهاجان صانجا في مدراس في ١٨٨٤م (٤٠).

ولكن هذه الأحزاب السياسية كانت عبارة عن مجموعات محلية بحتة لها مصالحها التي تهتم بها. ولكنها لم تكن قادرة على تمثيل الطبقات الساخطة في الهند ككل. وظهرت الحاجة إلى حزب سياسي مركزي أول ما ظهرت على يد (س. بانرجي) (٤١). وقام بانرجي بتنظيم أول دورة

للمجلس الهندي الوطني في عام ١٨٨٣م. وأخذ يعد العدة لتنظيم دورة ثانية (٤٢) في عام ١٨٨٥م وبينما هو في هذا الاعداد تلقى دعوة من (و. بونرجي) لحضور أول دورة لمؤتمر الهند الوطني. ولكنه رفض قبول الدعوة. وعلى ذلك فإن المجلس الهندي الوطني كان يتكون آنذاك من :-

- ١ - المنظمة البريطانية الهندية.
- ٢ - المنظمة الهندية.
- ٣ - المنظمة المحمدية المركزية. وهي حزب سياسي لسيد أمير علي (٤٣).

ولكن «المجلس الهندي الوطني» توقف مباشرة بعد تكوين «المؤتمر الهندي الوطني» وانضم زعيمه البارز (س. ناث. باترجي) الى «المؤتمر الهندي الوطني» (٤٤).

لقد تأسس المؤتمر الهندي الوطني على أكتاف موظف من موظفي الادارة المدنية الانجليزية هو (الان اوكافيان هيوم) «الذي ألقاه إزدیاد تيار السخط وعدم الرضا فحاول إيجاد الوسيلة التي يتم بها تحويل التوتر الشعبي الى قنوات بناء» (٤٥) وقد كتب (هيوم) كتابا الى خرينجي جامعة كلكتا قال فيه :

«إذا ما تم العثور على خمسين رجلاً فقط من ذوي الأخلاق العالية ليكونوا مؤسسين فإن الأمر يمكن أن يتم وأي تطور آخر لن يكون صعباً» (٤٦).

ان هيوم الذي كان إيمانياً بالطبيعة قد قرأ (أسباب الثورة) (٤٧) وهي الرسالة التي كتبها سيد أحمد خان وتأثر كثيراً بها. ومنذ ذلك الوقت بدأ يتبنى فكرة تأسيس منظمة، بالتعاون مع الحكومة البريطانية،



يمكن فيها المثقفون الهنود ذوو التأثير، من التعبير عن وجهات نظرهم حول المسائل السائدة الاجتماعية والسياسية. ولكن لم يكن (هيوم) هو الذي أعطى (المؤتمر) شكله السياسي. إنما الذي قام بذلك لورد (دوفرين). ويصف (س. بونرجي) هذا الذي حدث بقوله:

«ربما يكون الأمر خيراً للكثيرين. فإن المؤتمر الهندي الوطني، كما كان منذ البداية وكما هو منذ أن تكون، كان أصلاً عملاً من جهود لورد (دوفرين) وذلك عندما كان (دوفرين) حاكماً عاماً على الهند. لقد آمن هيوم منذ ١٨٨٤م بأنه سوف يكون عملاً نافعا للبلاد إذا ما تمكين الساسة الهنود من أن يتآلفوا جميعاً ويجمعوا مرة كل عام لمناقشة المشاكل الاجتماعية. إنه لم يفكر في أن تكون السياسة جزءاً من مناقشتهم. ذلك لأنه كانت هناك هيئات سياسية معترف بها في كلكتا وبومباي ومدراس ومناطق أخرى في الهند. لقد ظن أن هذه الهيئات السياسية سوف تقل قيمتها إذا ما ناقش الساسة الهنود اجتمعون معاً من أنحاء البلاد - المسائل السياسية. كذلك كانت فكرته أن حاكم الولاية، حيث يجتمع الساسة، يجب أن يرأس اجتماعاتهم وذلك سوف ينتج عنه تألف وعلاقات متينة بين الطبقات الرسمية من ناحية والساسة الهنود غير الرسميين من ناحية أخرى. وعندما امتلأت نفس هيوم بمثل هذه الأفكار أسرع بمقابلة (دوفرين) في (سملا) في بداية ١٨٦٥م بعد أن كان الأخير قد تقلد منصب نائب الملك في الهند».

«واهتم (دوفرين) بالأمر اهتماماً كبيراً. وبعد التفكير فيه لمدة من الزمن أرسل إلى هيوم وذكر أنه يعتقد أن مشروعه (أي مشروع هيوم) لن تكون له فائدة تذكر إذ أنه لا يوجد في البلاد أي مجموعة من الرجال الذين يستطيعون القيام بالعمل الذي تقوم به المعارضة في إنجلترا، وأن الصحف، بافتراض تمثيلها وجهات نظر الناس، ليست موثوقة فيها ولا يعتمد عليها. ولما كان الانجليز على غير علم بفكرة الآخرين (أي

الهنود) عنهم وسياساتهم في الدوائر الأهلية فانه من المفيد - لمصلحة الحاكم وانهمكهم معا - أن يجتمع الساسة الهنود سنويا ويوضحون للحكومة أوجه النقص في الادارة وكيف يمكن أن تتحسن واستطرد (دوفرين) بأن مجلسا مثل هذا الذي يقترحه لا يجب أن يترأسه الحاكم الاقليمي ، ذلك أنه في حضور الحاكم فان الناس قد يحجمون عن الكلام والتعبير عن أنفسهم بصراحة. وقد اقنع (هيوم) بما عرضه عليه (دوفرين). وعندما عرض فكرته وفكرة (دوفرين) على الساسة البارزين الهنود في كلكتا ومدراس ومناطق أخرى من البلاد قبل الساسة فكرة (دوفرين) ومن ثم عملوا على إخراجها إلى حيز الواقع (١٨) .

لم يكن (دوفرين) الشخصية الوحيدة المهمة التي ناقشها (هيوم) في مسألة تكوين منظمة للهنود. فقد ذهب الى انجلترا وناقش خططه وما ينتج عنها بالنسبة للتاج البريطاني مع أشخاص آخرين من أمثال لورد ريبون وجون برايت ولورد دهنوي (١٩) وآخرين. وقد أقنع (هيوم) هؤلاء جميعا باخلاص أهدافه وغاياته. وكان (هيوم) يؤمن بأن النكبة يمكن تلافيها اذا حولت الطبقة الرجوانية في الهند الى طبقة موالية. وقد جاهد (هيوم) طويلا لتحقيق هذا الهدف.

كذلك أسس (هيوم) في انجلترا (وكالة الأنباء الهندية السياسية) وكان الغرض منها تزويد الصحف الانجليزية بالأخبار الهندية (٢٠).

بعد أن قام (هيوم) بكل تلك الترتيبات عاد الى الهند قبل انعقاد المؤتمر الأول. لكن ماذا حدث قبل إنعقاد المؤتمر الأول؟ هذا ما ناقصه علينا بالتفصيل الدكتورة (آفي ييسانت). تقول آفي:

«في أواخر شهر ديسمبر ١٨٨٤ إجتمع سبعة عشر رجلا في مدراس في منزل (ديفان بهادر راو). وكان هناك أيضا رجال آخرون كأصدقاء

ومتعاطفين. هؤلاء الرجال كانوا من زعماء المجتمع إجتماعيا وثقافيا...»<sup>(٥١)</sup> وفيما بعد في مارس سنة ١٨٨٥ قرر (هيوم) بمعونة هذه المجموعة من الرجال عقد اجتماع لممثلين من جميع أنحاء الهند. واختيرت (يونان) لتكون مركز اللقاء<sup>(٥٢)</sup>.

● وفي أعقاب هذا الاجتماع (اجتماع مدراس) صدر منشور في مارس سنة ١٨٨٥ يقول<sup>(٥٣)</sup>:

«إن مؤتمر الاتحاد الهندي الوطني سوف يعقد في (يونان) في المدة ما بين ٢٥ الى ٣١ من ديسمبر ١٨٨٥م. وسوف يتكون المؤتمر من مندوبين هم أبرز الساسة ممن يجيدون اللغة الانجليزية، وذلك من جميع أنحاء البنغال وبومباي ومدراس. أما الأهداف المباشرة للمؤتمر فسوف تكون:

١ - تمكين الراغبين في العمل من أجل التقدم الوطني من التعرف بعضهم على بعض.

٢ - مناقشة وتحديد العمليات والأجراءات السياسية قبل القيام بها.

● وسوف يكون هذا المؤتمر - بشكل غير مباشر - البداية لبرنامج أهلي وإذا ما سار في عمله بشكل سليم فإنه سيسهم في سنوات قليلة في أن يكون ردا على ما يقال من أن الهند لا تزال غير قادرة على أي شكل من أشكال المؤسسات التمثيلية. وسوف يقرر المؤتمر الأول عما إذا كان المؤتمر التالي سوف يعقد في (يونان) أم يعقد في كل عام في مراكز مهمة مختلفة...»<sup>(٥٤)</sup>.

وهكذا بدأ المؤتمر دون هدف محدد أبرنامج. ولم يقدر لدورة المؤتمر أن

تُعقد في (بونا) نظراً لظهور بعض حالات الكوليرا. ودرى نقل المؤتمر الى بومباي. وفي بومباي سمي المؤتمر باسم «الكونغرس» (٥٥).

بدأت الدورة الأولى للكونغرس في ٢٨ ديسمبر ١٨٨٥. وكان عدد الحاضرين سبعين شخصاً (٥٦) من بينهم اثنان فقط من المسلمين من بومباي (٥٧).

كان أول رئيس للكونغرس «المؤتمر الهندي الوطني» (س. بونرجي) وكان الذي اقترح اسمه للرئاسة مستر (هيوم) وأيده في ذلك آخرون (٥٨). وقد حدد (س. بونرجي) في خطبته الرئاسية أهداف الكونغرس في أمور أربعة هي كالتالي (٥٩):

١ - توطيد وتقوية روابط الصداقة بين العاملين باخلاص في سبيل وطننا، في هذه الأجزاء من (الامبراطورية البريطانية).

٢ - محو وازالة كل التحيزات الجنسية والعقائدية والاقليمية - وذلك عن طريق الانصالات المباشرة الشخصية - من بين كل محبي البلاد، وتقوية وتدعيم مشاعر الوحدة الوطنية التي غرست ونمت منذ أيام حكم لورد (ريبون).

٣ - تسجيل الآراء الناضجة للطبقات المثقفة في الهند حول بعض المسائل الاجتماعية الملحة.

٤ - تقرير وتحديد الوسائل التي يتم بواسطتها.. العمل من أجل المصلحة العامة على أيدي السياسيين الهنود.

كذلك امتدح رئيس الكونغرس في خطبته إنجلترا (لبركانها التي لا تقدر في نشر التعليم الغربي)... وقال: «كل مانرغب فيه هو أن تتسع

أسس الحكومة وأن يشارك الناس فيها... (٦٠)» كذلك أعلن رئيس الكونغرس عن اعتقاده بأن الكونغرس يكون نافعا لكل من السلطات والشعب (٦١).

إن دراسة تحليلية للخطب التي ألقاها أعضاء الكونغرس الآخرون تظهر بوضوح أن موقفهم تجاه الحكومة البريطانية يماثل موقف (س. بونرجي). ويقترب الباحث (سميث) من الحقيقة عندما يكتب عن الأهم الأول للكونغرس:

«لا يجب على الانسان أن يعتقد أن الكونغرس أصبحت له في الحال الصبغة القومية التي لحقت به فيما بعد أو أنه كان يمثل شعورا عميقا بعدم الولاء... على أن الكونغرس - مهما كان من أمر - كان خطوة نقد تقوم به (أكثر أنواع المعارضة في الولاء)...» (٦٢).

### المرحلة الثالثة :

تتمثل هذه المرحلة في موقف سيد أحمد خان من الكونغرس. لقد كان تأسيس الكونغرس - كما رأينا - على يد (الان اكافيون هيوم) في عام ١٨٨٥م. وبدأت دورته الأولى في بومباي. وحضر هذه الدورة سبعون عضوا من بينهم إثنان من المسلمين. إلا أن ذلك لم يكن حقيقة يعني مشاركة المسلمين - كأمة - في الكونغرس. لقد ظل المسلمون بعيدين عن الكونغرس أو المشاركة فيه وذلك عند النظر إليهم كأمة وليس النظر إليهم كأفراد. لقد نظر المسلمون إلى الكونغرس باعتباره هيئة هندوسية. ولم تكن هذه هي وجهة نظر المسلمين وحدهم. فهناك - حتى من الانجليز - من كانت له نفس وجهة النظر مثل (A.J. Talboys) (٦٣). وحتى لورد (لروين) الذي كان نائب الملك في الهند

(١٩٢٦-١٩٣١م) إعتبر الكونغرس في سنواته الأولى كهيئة هندوسية (٦٤).

على أن أكبر معارضة وجهت ضد الكونغرس كانت من قبل سيد أحمد خان (٦٥) الذي كان قد عاصر مآسي الثورة ورأى إضطهاد المسلمين على أيدي السلطات البريطانية. ولم يكن سيد خان يحب أن تتكرر القصة. إن سيد خان لم يعارض الكونغرس لأنه كان تنظيماً هندوسياً، ولكن سيد خان عارض الكونغرس لأن الكونغرس كان في حقيقته ضد مصالح المسلمين في شبه القارة الهندية. ويعلق (سميث) على هذه الحقيقة قائلاً:

«لقد عارض سيد خان الكونغرس ونصح المسلمين بالابتعاد عنه، ليس لأن الكونغرس كان هندوسياً محضاً، ولكن لأنه كان في حد ذاته عملاً غير جدير بالاحترام. وكان من الممكن لسيد أحمد خان أن ينصح الهندوس أيضاً بالابتعاد عن الكونغرس - لو كان له عليهم حق النصح أو لو كان يعتقد أن نصيحته سوف تقبل. ولقد ابتعد سيد خان - من قبل وبالفعل - عن حركة إسلامية مشابهة لنفس الأسباب (٦٦).

وقبل أن نستطرد يجب أن نذكر هنا أن أهم القرارات التي اتخذها الكونغرس. تلخص فيما يلي:

- ١ - تطوير مجالس الحكم الذاتي سواء في السلطة المركزية أو في الحكومات الإقليمية.
- ٢ - تخفيض النفقات العسكرية وكذلك التقليل من التدريب العسكري بالنسبة للهنود.
- ٣ - توسيع نطاق التوظيف بالنسبة للهنود في المناصب العليا.

وعندما كان الكونغرس يقوم بتوجيه النقد الى الحكومة فقد كان في نفس الوقت يظهر نزعة الولاء الكبير والاعتدال. ولقد كانت مطالب الكونغرس حقيقية ومخلصة. ولكن لو كان قد تم الأخذ بها لأفاد ذلك طائفة واحدة فقط من طوائف الهند.. طائفة الهندوس. وقد كان سيد أحمد خان ضد هذا الاتجاه، وحاول جاهدا أن يمنع ذلك. ولما كان الكونغرس هيئة هندوسية أو ذا أغلبية هندوسية فقد ترتب على الفروقات الدينية اضطرابات طائفية بالبلاد. ففي عام ١٨٧١/ ١٨٧٢م حدث صدام بين مناسبتين احدهما هندوسية والأخرى اسلامية، ونتج عن ذلك اضطرابات سقط فيها كثير من الضحايا في (بيلوي) ومناطق أخرى في منطقة (الأقاليم المتحدة)<sup>(٦٧)</sup> وفي عام ١٨٨٥/ ١٨٨٧م حدث صدام آخر عظيم في كل من البنجاب والأقاليم المتحدة نتج عنه اضطرابات دهي الكبرى في عام ١٨٨٦<sup>(٦٨)</sup>. هذه الاضطرابات خلقت جو التوتر وجلبت معها الأخطار مما اضطر الزعماء المسلمين، من أمثال سيد أحمد خان وسيد أمير علي ومحسن الملك ومولفي نظير أحمد الى التدخل لحماية مصالح طائفتهم الاسلامية.

ورغم كل تلك الاضطرابات والمآسي فإن سيد أحمد خان ظل صامتا حتى عام ١٨٨٧. وفي خلال العامين (١٨٨٥ - ١٨٨٧م) لم يتلفظ سيد أحمد خان بكلمة واحدة ضد الكونغرس أو ضد الهندوس. ولكن وجدت ظروف وأحداث أجبرت سيد أحمد خان على اتخاذ خطوة حاسمة تجاه حركة الكونغرس. فقد قامت (عصبة البنغال الوطنية) في (كلكتا) والتي كانت على اتصال وثيق بالكونغرس بالمطالبة بالحقوق والامتيازات التي وافقت الحكومة البريطانية على منحها من وقت الى آخر. ونشرت العصبة كتابا اسمه (نجم العرب) وعلى غلافه بعض الأشعار التي كانت تهدف الى إثارة مشاعر الهند<sup>(٦٩)</sup>. ثم بعد ذلك نشروا كتابا آخر كان عبارة عن مجموعة من الأسئلة والاجابات أو مناظرة بين شخصين ومبين

أحدهما هو مولفي (فريد الدين) والآخر هو (رام بخش) (٧٠) وقد طبع ما يقرب من خمسة آلاف من هذه الكتيبات في إثني عشرة لغة هندية ووزعت (٧١). وكان الهدف هو نشر الكراهية ضد الحكومة البريطانية. وقد ذكر لورد (دوفرين) نائب الملك في الهند آنذاك أن زعماء الكونجرس مسئولون تماما عن نشر هذه الكتيبات التي قادت آلاف الناس إلى التفكير الخاطيء (٧٢). وعبر لورد (دوفرين) عن نفس وجهة نظره هذه في وقت رحيله من الهند عندما كان يخطب في صحفي كلكتا (٧٣).

هذه النشاطات الهندوسية بشكل عام ومطالب الكونجرس بشكل خاص كانت كافية لدفع سيد أحمد خان نحو العمل. وقد عبر سيد خان عن وجهات نظره علنا للمرة الأولى سنة ١٨٨٧م وذلك بمدينة (لكنو) (بينما كان الكونجرس يعقد جلساته في مدراس تحت رئاسة أحد المسلمين). وقد حضر جمع كبير من المسلمين الاجتماع الذي تحدث فيه سيد خان في (لكنو) ومن هؤلاء الذين كانوا قد جاءوا لحضور جلسات المؤتمر المزمع التعليمي (٧٤). وكان الاجتماع بذلك يمثل المسلمين على كل المستويات. وقوبلت خطبة سيد خان التي ألقاها بالأردية بالامتحسان من الجميع. وكانت أول خطبة سياسية لسيد خان. وكان هدف سيد خان من وراء هذه الخطبة تحقيق أمرين:-

- ١ - التعبير عن وجهة نظره الشخصية بالنسبة للأحوال السياسية السائدة.
- ٢ - تقرير ما يجب على المسلمين إتخاذه بخصوص هذه الأحوال.

إن اغتلك الوحيد للحكم على الأمور السائدة هم المسلمون. فإذا كانت هذه الأمور ذات فائدة فم فلابد فم أن يشاركوا فيها. أما اذا كانت في غير صالحهم فلا مناص من الابتعاد عنها (٧٥). وأول مشكلة كان على سيد خان أن يواجه إنتباهه إليها وبهاجتها هي مشكلة التعيينات في مجلس



نائب الملك. وقد قام سيد أحمد خان بالدفاع عن سياسة التعيينات هذه وامتدحها ثم لاحظ بعد ذلك كما يقول :

«أنه من سوء الحظ - واستمحيكم العذر في قلبي هذا - أن طبقة ملاك الأرض في الهند ليس لديها القدرة الناتجة عن التدريب والممارسة التي تجعلها صالحة لشغل هذه المقاعد... ولكن لا يجب أن نتجاهل تلك الظروف التي تعبر الحكومة على تبني هذه السياسة. ومن الضروري للغاية أن يكون أعضاء مجلس نائب الملك من ذوي الوضع الاجتماعي العالي. وأنا أسألكم هذا السؤال. هل ترضى أرستقراطية مجتمعا في الهند أن رجلا من طبقة أدنى أو من أصل غير مهم - رغم ما يحمله من مؤهلات علمية - يعلن فوقها وأن تكون له المسؤولية والسلطة في وضع القوانين التي تؤثر على حياة الأرستقراطية وممتلكاتها؟ لا... لا يمكن أن تقبل الأرستقراطية ذلك. إن مقعدا في مجلس نائب الملك هو منصب شرف وعزة. ولا يمكن لنائب الملك أن يتخذ - كرميل عمل له - إلا رجلا ذا تربية طيبة، يعامله كأخ ويدعوه إلى مجالس الضعفاء لتناوله مع الدوقات وأصحاب الألقاب» (٧٦).

وكما يرى سيد أحمد خان فإن إجراءات ومسار إتخاذ القوانين لا عيب فيها، وأن أعضاء المجلس التشريعي لنائب الملك يقعون تحت تأثير الآراء التي تظهر في الصحف وفي غيرها (٧٧).

وبعد ذلك ناقش سيد خان مطالب الكونغرس بالنسبة للخدمة المدنية. وكان سيد خان يرى أنه لو تم الأخذ بهذه المطالب فإن المستفيد الوحيد هي طبقة الهندوس وبالأخص الهندوس البنغاليين الذين كانوا قد بدأوا حركة التعليم وجنوا ثمارها (٧٨). إن نظام الخدمة المدنية القائم على أساس امتحانات المنافسة نظام سليم في بلد مثل إنجلترا حيث ينتمي الناس هناك إلى جنس واحد وعقيدة واحدة ولون واحد. أما هؤلاء الذين يأتون

إليها من إنجلترا فهم (يأتون من بلد بعيد عنا فلا نعرف هل هم أبناء لوردات ودوقات أم أبناء حائكي أنباء ولذلك فانا لا نستطيع أن نعرف أصل هؤلاء الذين يخدموننا. ولكن بالنسبة للهنود فالأمر مختلف. فان هؤلاء الذين يخدمون من أصل كريم لا يمكن أن يعطوا قياد أمورهم وممتلكاتهم لأخرين من ذوي الطبقات الأدنى والأصل المتواضع والذين يعرفونهم تماما.) (٧٩).

وبالنسبة لمطلب الكونغرس الثاني وهو مطلب المؤسسات الثيائية للهند والذي كان سيد خان قد عبر عن وجهة نظره إزاءه في سنة ١٨٨٣م عندما كان يناقش اقتراح بقانون الحكم الذاتي للهند، فان سيد خان ذكر أنه رغم أنه ليبرالي النزعة وأنه يؤمن أن الحكم الثيائي هو أفضل النعم التي يمكن للهند أن تحصل عليها من إنجلترا إلا أنه يعتقد أيضا أن التمثيل الثيائي في شكله الغربي البحت لا يمكن قبوله في الهند لأن الأقليات سوف تعاني من الأغلبية، خاصة المسلمون. وحول هذه النقطة يقول سيد خان :

«إن المطلب الثاني للكونغرس هو ضرورة اختيار الناس لبعض أعضاء مجلس نائب الملك. إنهم يريدون تقليد مجلس اللوردات البريطاني ومجلس العموم.. ودعنا الآن نتصور أن مجلس نائب الملك يصبح على هذه الصورة. ودعنا نفترض أولا أن لدينا نظاما للانتخاب العام الشامل لليالين كما هو الحال في أمريكا ودعنا نفترض أن المسلمين سوف يصوتون للمرشح المسلم وأن الهندوس سوف يصوتون للمرشح الهندوسي... والآن دعنا نحصى كم مرشح للهندوسي وكم للمسلمين. من المؤكد أن الهندوس سوف يكونون أربعة أمثال المسلمين لأن نسبة الهندوس العديدة - هي كذلك - بالنسبة للمسلمين. وعلى ذلك فانا نستطيع القول بأن نسبة التصويت ستكون أربعة الى واحد لصالح الهندوس. كيف يتمكن المسلمون إذن من حماية مصالحهم...» (٨٠).

وفي نهاية خطبته أكد سيد خان للمسلمين تعضيد الحكومة لهم على أن يظلوا موالين لها. لقد كان سيد خان يؤمن أن الولاء للعرش البريطاني وللتعليم البريطاني هو الوسيلة الوحيدة لانتشال المسلمين من وضعهم الهابط... ذلك الوضع الذي انحدروا اليه بعد حدوث الثورة<sup>(٨١)</sup>.

وألقي سيد خان خطبة أخرى ضد الكونغرس في مدينة (ميروت) في سنة ١٨٨٨م وفيها عبر مرة أخرى عن آراء مماثلة<sup>(٨٢)</sup>. ولقد كان تأثير هذه الخطب على المسلمين في الهند بالغاً وبعيد الأثر. فقد رحب المسلمون بآراء سيد خان وبقوا بشكل عام بعيدين عن حزب الكونغرس. وكما يقول (نعمان):

«لم ينضم منذ ذلك الوقت أي مسلم مهم إلى الكونغرس باستثناء واحد أو اثنين. وحتى هؤلاء الذين عارضوا سيد أحمد خان في أفكاره الدينية والتعليمية والاجتماعية، واختلفوا معه، أخذوا بأفكاره السياسية وظلوا بعيدين عن الكونغرس<sup>(٨٣)</sup>».

وفي سنة ١٨٨٨ بدأت مناظرة علنية بين (بدر الدين طيب جي) ثالث رئيس للكونغرس والسيد أحمد خان. بدأ ذلك بأن كتب بدر الدين خطاباً إلى رئيس تحرير جريدة (Pioneer) في الثاني من أبريل سنة ١٨٨٨م. وفي هذا الخطاب طالب بدر الدين المسلمين بالانضمام إلى الكونغرس بدون خوف وأكد لهم أنهم لو عارضوا أي إجراء في الكونغرس بشكل جماعي فإن هذا الإجراء لن يتم<sup>(٨٤)</sup>. ولم يضيع سيد خان وقتاً في الرد عليه<sup>(٨٥)</sup> فشكره أولاً على أنه استبعد المسائل الطائفية والاقليمية في خلال مناقشات الكونغرس في دورة انعقاده الثالثة. كذلك أعلن سيد خان اتفاقه مع بدر الدين على أن الكونغرس لا يمكن أن يوصف بالكونغرس (الوطني) أو (القومي) إذا ما اتخذ فيه قرار ضد الرأي العام للأعضاء من الهندوس أو المسلمين. على أن سيد خان اعترض على استعمال كلمة (نواب) بالنسبة للأعضاء لأن (النائب) يعني أنه

شخص منتخب من قبل هؤلاء الذين يمثلهم. وحيث أن النواب المسلمين لم ينتخبهم مسلمون فلا يمكن بذلك تسميتهم نوابا. كذلك اعترض سيد خان على تسمية الكونغرس بالحزب القومي أو الوطني (٨٦) أن الكونغرس لا يمكن أن يسمى قوميا أو وطنيا إلا في حالة واحدة وهي أن تكون أهداف وأغراض الناس الذي يتكون منهم واحدة ومتطابقة. وإن بدر الدين نفسه يعترف بأن بعض أهداف وأغراض المسلمين تختلف عن أهداف وأغراض الهندوس بينما بعضها متفق. وهو يرغب في أن يركز الكونغرس اهتمامه على تلك الأغراض المتفق عليها ويترك تلك التي عليها خلاف واختلاف. ولكن كيف يمكن تسمية الكونغرس في هذه الحالة بالكونغرس القومي أو الوطني (٨٧). ويرى سيد خان أن بدر الدين لم يوص بأي علاج للمسائل التي يختلف عليها الهندوس والمسلمون في الكونغرس. فهل يجب على كل من المسلمين والهندوس أن يكون لكل منهم «كونغرس» خاص من أجل أهدافهم الخاصة التي تختلف كل من المسلمين والهندوس عليها؟ (٨٨) ثم ناقش سيد أحمد خان بعد ذلك المبدأ الذي يقول به الكونغرس (أي أمر يعارضه غالبية النواب المسلمين يجب أن يستبعد من المناقشة في الكونغرس). وعبر سيد خان عن حيرته حول هذا الأمر. فماذا تبقى للكونغرس لكي يناقشه إذا ما أخذ بهذا المبدأ (٨٩)؟ ذلك أن الهندوس والمسلمين يمكن أن يتفقا بالنسبة للمشاكل الاجتماعية ولأن الكونغرس هيئة سياسية ولا يناقش المشاكل الاجتماعية فلا مجال هناك إذن لأي تقارب. وقد آمن سيد أحمد خان بأن المبادئ السياسية الأساسية للكونغرس الهندي هي في الواقع ضد مصالح المسلمين (٩٠). وفي هذا النطاق أشار سيد خان إلى خطيئته في (الكنو) وكرر حججه ضد المؤسسات النيابية. واختتم سيد خان خطابه ورده على بدر الدين بنصيحة للمسلمين بأنه يجانب كل تلك الأمور فليس من الحكمة عليهم أن ينضموا إلى الكونغرس لأن ذلك سوف يؤدي إلى معاداة الحكومة لهم. ثم استشهد سيد خان بتجربة

الثورة التي اشترك فيها المسلمون واهندوس بنفس النسبة تقريبا ومع ذلك فقد نحى اهندوس من نتائجها بينما تحطم كيان المسلمين<sup>(٩٢)</sup>. «هذه هي النتيجة التي سوف تحمل بالمسلمين اذا ما اشتركوا في الجو السياسي السائد والمشحون بالتوتر. وفي أمريكا بدأ هذا التوتر السياسي أولا ثم بدأت عقول الناس تشتد في احتدامها. ثم جاءت الكلمات الأخيرة (لاضرائب دون تمثيل). دع هؤلاء الذين يمتلكون القوة في القول والفعل على أساس هذه الكلمات أن ينضموا الى الكونغرس. اننا لا نمتلك مثل هذه القوة. فالبنغاليون والمسلمون المجهولون الذين انضموا الى الكونغرس في مدراس ربما كانوا يمتلكون مثل هذه القوة. والأمر بالنسبة لهم يكون نعمة، ولكن اشترك الأمة الاسلامية في الكونغرس سيكون بالنسبة لنا نقمة»<sup>(٩٣)</sup>.

وفي ديسمبر سنة ١٨٨٨ أسس سيد أحمد خان «المنظمة الهندية الوطنية المتحدة» وذلك للوقوف ضد ما يسمى بالكونغرس الوطني<sup>(٩٤)</sup>. وكانت أهداف وأغراض هذه المنظمة كالتالي :-

١ - اصدار مطبوعات وكتيبات للشعب والصحافة وأعضاء البرلمان الانجليزي توضح لهم خطأ ما يدعيه مؤيدو الكونغرس من أن كل الأمة الهندية وحكامها تعضد الكونغرس أو أنهم يتفقون مع الكونغرس في الأهداف والأغراض.

٢ - إعلام أعضاء برلمان انجلترا وصحفها وشعبها بنفس الوسائل برأي المسلمين بشكل عام وبالجمعيات الاسلامية وكذلك اهندوسية التي تعارض أهداف وأغراض الكونغرس.

٣ - العمل على حفظ السلام في الهند وتقوية الحكم البيطاني وإزالة المشاعر السيئة التي سببها مؤيدو الكونغرس وأشاعوها في البلاد - من قلوب الشعب الهندي، ضد الحكومة البيطانية<sup>(٩٥)</sup>.

وقد تحول المؤتمر التعليمي الاسلامي السنوي الذي تأسس في عام

١٨٨٦م والذي كان في بدايته منظمة علمية بحتة تهدف الى نشر التعليم بين المسلمين، إلى منظمة سياسية وأصبح بذلك «تجمعاً للرأي السياسي الاسلامي المتناثر»، كذلك قويت نشاطات سيد أحمد خان المناهضة للكونغرس وذلك عندما تأسست «منظمة الدفاع اخمدي للهند العليا في سنة ١٨٩٣م»<sup>(٩٥)</sup>. وكانت أهداف هذه المنظمة تتمثل في العمل لخير وصالح المسلمين وتمثيل حقوقهم لدى الحكومة والعمل على منع التوتر والسخط السياسي على ألا يعارض مثل هذا التوتر والسخط الشعبي اذا ما وجه نحو المطالب الهندية<sup>(٩٦)</sup>.

وكتب سيد أحمد خان مقاله في مجلة (Pioneer) التي كانت تصدر في (الله آباد) في سنة ١٨٩٣م. وفي هذه المقالة أوضح سيد خان آراءه في المشاكل الاجتماعية والسياسية السائدة باهند وقام مرة أخرى بتفنيد وجهة نظر الكونغرس الهندي بالنسبة لموضوع المؤسسات النيابية والشكل الديمقراطي للحكومة. وكان سيد خان يؤمن بأن من أهم ما يلزم أي حكومة نيابية أو تمثيلية أن تكون أعلا درجة من التجانس بين الناهجين. ومثل هؤلاء لابد أن ينتموا الى نفس الجنس ونفس الأمة.. وعندما يكون هناك مثل هذا التجانس فإن الحكومة التمثيلية في امكانها أن تعمل. وفي اهند، حيث يختلف الأمر، فإن مثل هذه الحكومة التمثيلية لا يمكن لها أن تقوم بأي عمل له نتائج مفيدة في اهند فقط أن يتأتى من مثل هذه الحكومة اضطراب سلام ورفاهية البلاد<sup>(٩٧)</sup> ان أهداف وأغراض الكونغرس تقوم على أساس الجهل بالتاريخ كما يقول سيد خان. «إن اهند تقطنها جنسيات مختلفة. إن الكونغرس يفترض أن المسلمين يتشابهون مع الطوائف الهندية المختلفة وأن الجميع ينتمون الى نفس الأمة. إن الكونغرس يعتقد أنهم يؤمنون بنفس العقيدة ويتكلمون بنفس اللغة وأن موقفهم من التاريخ مماثل (لموقف الهندوس والطوائف الأخرى) وأنه يقوم على نفس الأسس التاريخية من أجل المعنى الناجح

لحكومة ديمقراطية. ومن المهم للغاية أن تكون لدى الأغلبية القدرة على حكم الأقليات غير الراضية فضلاً عن حكم نفسها (٩٨).

وقد مات سيد أحمد خان في عام ١٨٩٨م ولكنه كان قد نجح في إشعال مشاعر المسلمين في أنهم أمة. لقد بث سيد أحمد خان في مسلمي شبه القارة الهندية روح التعاون الذاتي والعمل الذاتي وعلمهم كيف يفكرون وكيف يعملون كأمة - وليس كأقلية.

### • المصادر والمراجع •

- (1) Ram Gopal, Indian Muslims, Bombay, 1959. P. 47.  
ويقول المؤلف حياءاً لكنه لا يرد Ellinborough أن ديني ولحنون بتاريخ ١٨ بومبي عام ١٨٩٣. «لا أستطيع أن أعيل عبي عن الاعتقاد بأن هذا الخس (أي المسلمين) معاد لنا بشكل أساسي وأن سياستنا السببية هي في مصالحة الخس».
- (2) Mehta, Asoka, Khial (Mazazine) Pub, May, 1957, Lahore, P. 81.
- (3) المصدر السابق
- (4) Altaf Hussain Hali, Hayat-i Jawed, Delhi, 1939, P. 139.
- (5) Mehta, Asoka. op. cit., P. 81.
- (6) Philips, C. H. India, Great Britain. 1958, P. 90.
- (7) Mehta, Asoka, op. cit., P. 82.
- (8) Ram, Gopal, Indian Muslims, P. 48.
- (9) Hunter, W. W. The Indian Mussalmans, Calcutta, 1945, P. 167
- (10) المصدر السابق
- (11) Mehta, Asoka. op. cit, P. 82.
- (12) المصدر السابق
- (13) Chirol, Valentine, Indian Unrest, London, 1910, P. 124.
- (14) المصدر السابق ص ١٢١
- (15) Hali, op. cit, 129.
- (16) المصدر السابق ص ١٣٩
- (17) المصدر السابق ص ١٤٥
- (18) المصدر السابق ص ١٥٣

- (19) Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India. Calcutta, 1946 P.407.  
يعرف نهر في كتابه هذه الحقيقة التي يؤكد بها سيد أحمد خان.
- (20) Cummings, John, Ed. Political India, London, 1932. P.87-
- (21) المصدر السابق
- (22) Noman, M., Muslim India, Allahabad, 1942, P. 43.
- (23) J. Kennedy, Personal Reminiscence of Sir Syed Ahmad Khan. Imperial and Asiatic Quarterly Review, July - October, 1898, P.150.  
في هذه المقالة ذكر كينيدي أن سيد أحمد خان أخذ منذ ذلك الوقت يسخر من الهندوسية.
- (24) Smith. W. C. Modern Islam In India, Lahore, 1947, P. 9
- (25) Hali, op. cit., P. 218.
- (26) مجلة عتيقة. عتيقة. ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م، ص ٣٦.
- (27) المصدر السابق ص ٣٣
- (28) المصدر السابق
- (29) Smith, W. C. op. cit, p. 21.
- (30) المصدر السابق
- (31) Cumming, John. op. Cit., P. 89.
- (32) مجلة عتيقة. مقالة شرواني من ١٣٣٤ إلى ١٣٣٦.
- (33) A History of Freedom Movement, Pakistan Historical Society, Karachi, 1961, P. 517.
- (34) Graham, G. F. I., Life and Work of Sir Sayyid Ahmad Khan., India, 1909, PP. 60 - 61.
- (35) المصدر السابق ص ١٧٦
- (36) المصدر السابق ص ١٧٢
- (37) المصدر السابق ص ١٧٢
- (38) Al-Biruni, A. H., Makers of Pakistan, Lahore, 1950. PP. 43 - 44.
- (39) Griffiths, Sir Percival, The British Impact on India, London, 1952, P. 278.
- (40) Aligarh Institute Gazette, P. 33.
- (41) Andrews, C. F. Mukerjee, Rise and Growth of the Congress in India, London, 1938, P. 115.
- (42) المصدر السابق ص ١١٦



- (43) المصدر السابق ١١٦
- (44) Nandlal Chatterji, Indian Historical Quarterly, Dec. 1959, P. 367.
- (45) Sitaramayya, B. Pattabhi. The History of the Indian National Congress, Bombay, 1949. P. 8.
- (46) المصدر السابق
- (47) Singh. N.G, Land - Marks In Indian Constitutional and National Development, Delhi, 1952, P. 73.
- (48) Natesan. Publishers, Introduction to Indian Politics, 1898, PP.3-4.
- (49) Wedder, Burn. William, Life of Allan Octavian Hume, London, 1913, P.55.
- (50) المصدر السابق
- (51) Besant, Annie, How India Wrought for Freedom, Madras, 1925, PP.1-2.
- (52) المصدر السابق ص ٣
- (53) المصدر السابق
- (54) Besant, Annie, op. cit. P. 4.
- (55) المصدر السابق ص ٧
- (56) المصدر السابق ص ٧
- (57) Coupland, Reginald. India A Re - Statement, London, 1932, P. 90.
- (58) Besant, Annie, op. cit., P. 6.
- (59) المصدر السابق ص ٧
- (60) المصدر السابق ص ٩
- (61) المصدر السابق
- (62) Smith, W. C. Modern Islam In India, Second Edition 1947. P.16
- (63) Imperial and Asiatic Quarterly Review, October, 1890.
- (64) Cummings, Sir John, Political India, P. 18.
- (65) Proceedings of the Indian Civil Service Commission, report, 1887, P- 132.
- (66) Smith, W. C. Modern Islam in India, P. 116.
- (67) Cumming. op. cit., P. 110.
- (68) المصدر السابق ص ١١٠
- (69) Altaf Haussain Hali, op. cit, PP.311 - 312.

- (70) المصدر السابق ص ٣١٢
- (71) المصدر السابق
- (72) المصدر السابق
- (73) Mukerjee, Hirendernath, India Struggles for Freedom, Bombay, 1946, P. 65.
- (74) Sir Sayyid Ahmad Khan, Present State of Indian Politics, (Historical Research Institute, Panjab Univ., File, Lahore) p.4.
- (75) المصدر السابق
- (76) المصدر السابق ص ٥
- (77) المصدر السابق ص ٦
- (78) المصدر السابق ص ٨
- (80) المصدر السابق ص ١٠
- (79) المصدر السابق
- (81) المصدر السابق ص ١٤
- (82) Lal Bahadur, The Muslim League, Agra, 1954, P. 3.
- (83) Noman, op. cit., P. 40.
- (84) File of Historieal Research Institute (see F. N. No. 74 here), PP.34 - 35.
- (انظر الفاضل رقم ٧٤ هنا)
- (85) المصدر السابق ص ٣٦
- (86) المصدر السابق ص ٣٧
- (87) المصدر السابق
- (88) المصدر السابق
- (89) المصدر السابق ص ٣٨
- (90) المصدر السابق ص ٣٨
- (91) المصدر السابق ص ٣٨ - ٣٩.
- (92) المصدر السابق ص ٣٩
- (93) Graham, Life and Work of Sir Sayyid..., P. 273.
- (94) Lal Bahadur, op. cit, p. 5.
- (95) المصدر السابق ص ٦
- (96) The Pakistan Times (Newspaper), Pakistan Day Supplement, Dated: Mareh 23, 1961, P. XV.
- (79) المصدر السابق
- (98) المصدر السابق